التوضيح المفيد

لكتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

إعداد:

خالد بن سطمي الشمري



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد....

فكتابُ التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من الكتب المهمة ، والتي جمع فيه مؤلفه أدلة التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وقد وجد الكتابُ عنايةً من العلماء ، وله شروحٌ تفاوتتْ بين الإسهاب والإيجاز ، وقد انتقيتُ من كلام عدد من أهل العلم الذين شرحوه التعليقات التي أثبتُّها في الحاشية ، واكتفيتُ بما يدلُ على المقصود بأخصر عبارة لتقريب معاني هذا الكتاب للقارئ ، واجتنبت عزوَ الكلامِ رغبةً في الاختصار ، وأسميته :

التوضيح المفيد
لكتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد

واللهَ أسأل أن ينفعَ به كما نفعَ بأصله، وأن يجعلَهُ من العلمِ النافعِ، والعمل الصالحِ، وصلى اللهُ وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين،،،

كتبه: خالد بن سطمي الشمري

محافظة رفحاء – ١٤٢٨هـ

كتاب التوحيد[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[٢]﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[٣]﴾ الآية، وقوله: ﴿وَقَضَى[٤] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا [٥] إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا[٦]﴾الآية، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة[٧] فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ -إلى قوله- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟[٨])، فقلت: الله ورسوله أعلم[٩]. قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس[١٠]؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا)[١١]. أخرجاه في الصحيحين.

---

(١) التوحيد: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وأقسامه ثلاثة:

١. توحيد الربوبية: وهو إفراد الله عز وجل بأفعاله كالخلق والملك والتدبير.

٢. توحيد الألوهية: إفراد الله عز وجل بالعبادة.

٣. توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

(٢) يعبدون: يوحدون. والعبادة هي الحكمة من خلق الجن والإنس.

(٣) اللام موطنه لقسم مقدر. والأمة هي الطائفة من الناس.

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع. والأصنام من الطواغيت التي تعبد من دون الله.

(٤) المراد بالقضاء هنا القضاء الشرعي الديني وهذا أحد قسمي القضاء والثاني كوني قدري.

(٥) والعبودية تنقسم إلى ثلاثة أقسام : أ. عامة لكل الخلق. ب. خاصة للمطيعين. ج. خاصة الخاصة للأنبياء.

أدلتها على التوالي ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

(٦) اعبدوا "إثبات" لا تشركوا "نفي" شيئاً نكره في سياق النهي فتعم كل شيء. والتوحيد لا يتم إلا بركنين هي الإثبات والنفي. فالنفي المحض تعطيل والإثبات المحض لا يمنع المشاركة.

(٧) الوصية هي العهد. عليها خاتمة: أي توقيعه وختمه وهذه الآية دلت على ما دلت عليه الآيات قبلها وهو النهي عن الشرك.

(٨) جعله على طريقة السؤال ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم.

"حق الله على العباد" أي ما أوجبه عليهم وما يجب أن يعاملوه به "وحق العباد على الله" أوجبه على نفسه فضلاً منه.

(٩) حسن أدب من المتعلم.

(١٠) البشارة هي الإخبار بما يسر وقد تستعمل بعكسه كقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ "لا" في لا تبشرهم ناهية. ونهاه لئلا يعتمدوا على البشارة وتحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي.

(١١) أي يعتمدوا على ذلك ويتركوا التنافس في الأعمال.

٢- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب[١]

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ[٢]﴾ الآية.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شهد[٣] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له[٤]، وأن محمداً عبده ورسوله[٥]، وأن عيسى عبد الله[٦] ورسوله[٧] وكلمته ألقاها إلى مريم[٨] وروح منه[٩]، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل[١٠]). أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله[١١]).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله[١٢]. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا[١٣]. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله الا الله". رواه ابن حبان، والحاكم وصححه. وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا[١٤]، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة[١٥]).

---

(١) "ما" يصح أن تكون موصولة أي "والذي يكفر من الذنوب " ويصح أن تكون مصدرية أي "وتكفيره الذنوب".

(٢) يلبسوا أي يخلطوا والظلم هنا المراد به الشرك لما أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ الآية. قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما قلتم "لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك أو لم تسمعوا قول لقمان لابنه "يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم". ومناسبة الآية للباب أن من فضائل التوحيد الأمن لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

(٣) الشهادة لا تكون إلا بعد العلم.

(٤) إله: المألوه وهو المعبود محبة وتعظيماً. إلا الله: لا معبود على وجه يستحق العبادة إلا هو وقوله وحده: تأكيد الإثبات وقوله لا شريك له: تأكيد النفي.

(٥) دفعاً للإفراط والتفريط.

(٦) رد على النصارى الذين قالوا إن عيسى ابن الله أو أنه هو الله أو ثالث ثلاثة.

(٧) رد على اليهود في قولهم أنه ولد بغي.

(٨) أي خلق بالكلمة وهي كن.

(٩) أي نفخت فيه الروح التي هي من خلق الله وأضيفت إليه تشريفاً ومن هنا للابتداء وليست للتبعيض كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ قال أبي بن كعب عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله.

(١٠) إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتم العمل أو ناقص مسبوق بعذاب لمن نقص العمل وعلى حسب أعمال كل منهم في الدرجات.

(١١) أي يطلب وجه الله فلابد من العمل وفي الحديث رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الإيمان معصية وعلى الخوارج في تكفيرهم مرتكب الكبيرة.

(١٢) طلب موسى الذكر والدعاء فعلمه هذه الجملة وهي ذكر متضمن للدعاء.

(١٣) ليس هذا جهل من موسى ولكنه أراد شيئاً يختص به.

(١٤) ما يقاربها أو يقارب ملؤها.

(١٥) يدل على أن حسنة التوحيد تكفر الخطايا الكبيرة إذا لقى الله وهو لا يشرك به شيئاً.

٣- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب[١]

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا[٢] وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ[٣]﴾.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة[٤]، ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت[٥] قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة[٦]. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عرضت[٧] علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط[٨]، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه فأخبروه، فقال: (هم الذين لا يسترقون[٩] ولا يكتوون[١٠] ولا يتطيرون[١١] وعلى ربهم يتوكلون)، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: (سبقك بها عكاشة[١٢]).

---

(١) هذا الباب كالمتمم للذي قبله فمن فضل التوحيد دخول الجنة بغير حساب وتحقيق التوحيد يكون بالعلم والاعتقاد والانقياد.

(٢) أمة أي إمام والقنوت دوام الطاعة وحنيفاً: مائلاً عن الشرك.

(٣) تدل الآية على أن تحقيق التوحيد لا يكون إلا باجتناب الشرك.

(٤) أما أداة استفتاح وقال هذا لئلا يحمد بما لم يفعل.

(٥) من الرقية وهي القراءة على المريض

(٦) عين أي من الحسد والحمه بضم الحاء السم والمراد لدغة ذوات السم.

(٧) هذا العرض كان في المنام.

(٨) الرهط: من ثلاثة إلى تسعة.

(٩) لا يطلبون أحداً أن يرقيهم.

(١٠) من الكي بالنار.

(١١) التطير التشاؤم بالطير ونحوه.

(١٢) وهؤلاء لم ينزلوا حوائجهم إلا بالله فتركوا الرقية والكي والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وثقتهم به وهذا من تحقيق التوحيد وليس في الحديث دليل على أنهم لا يباشرون الأسباب فالتوكل من أعظم الأسباب وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله كالاكتواء والاسترقاء.



٤- باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ[١] وَيَغْفِرُ مَا دُونَ[٢] ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال الخليل عليه السلام[٣]: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

وفي حديث: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)، فسئل عنه فقال: (الرياء). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وهو يدعو[٤] من دون الله نداً دخل النار)، رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة[٥]، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

---

(١) قد يدخل فيه الأصغر.

(٢) أقل.

(٣) خائفاً من الشرك فمن يأمنه بعده.

(٤) دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

(٥) وقد يعذب على ذنوبه إن كان مذنباً فهو تحت المشيئة.

٥- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله[١]

وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي[٢] أَدْعُو إِلَى اللَّهِ[٣] عَلَى بَصِيرَةٍ[٤] أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذاً إلى اليمن[٥] قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب[٦] فليكن[٧] أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله – وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله – فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجاه[٨].

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: (لأعطين[٩] الراية[١٠] غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله[١١])، يفتح الله على يديه[١٢]، فبات الناس يدوكون[١٣] ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: (انفذ على رسلك[١٤] حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه[١٥]، فوالله لأن يهدي الله بك[١٦] رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم[١٧]) – يدوكون: يخوضون-.

---

(١) ذكر التوحيد ثم بين أنه لابد معه من الدعوة إلى التوحيد وإلا كان ناقصاً.

(٢) طريقي.

(٣) الداعي إلى الله هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى.

(٤) علم فجمع في دعوته بين الإخلاص والعلم.

(٥) في ربيع الأول سنة عشر من الهجرة.

(٦) أرشده بهذا ليعرف أحوال الناس فعامتهم من اليهود والنصارى والحكم للأغلب.

(٧) الفاء استئنافية واللام للأمر.

(٨) الحديث فيه التعليم بالتدرج والبداءة بالأهم فالأهم.

(٩) هذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات القسم المقدر واللام والنون.

(١٠) العلم.

(١١) فيه إثبات صفة المحبة لله وهي من الصفات الفعلية.

(١٢) بشارة بالفتح.

(١٣) يخوضون.

(١٤) مهلك.

(١٥) هذا موضع الشاهد للباب.

(١٦) الهداية نوعان هداية توفيق وهذه لله وحده وهداية دلالة وتكون لمن يتسبب في هداية الناس.

(١٧) الإبل الحمراء.

٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ[٢] الَّذِينَ[٣] يَدْعُونَ[٤] يَبْتَغُونَ[٥] إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ[٦] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ[٧] مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي[٨]﴾ الآية، وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ[٩] وَرُهْبَانَهُمْ[١٠] أَرْبَابًا[١١] مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية[١٢]، وقوله: ﴿وَمِنَ[١٣] النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا[١٤] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)[١٥].

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

---

(١) العطف هنا من باب عطف المترادفين فالتوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله.

(٢) مبتدأ.

(٣) بدل.

(٤) صلة الموصول.

(٥) خبر.

(٦) يطلبون الشيء الذي يوصلهم إلى الله فهم محتاجون إليه.

(٧) متبرئ ومتخل ففيها نفي.

(٨) إثبات والتوحيد لا يحصل إلا بعبادة الله وحده دون سواه.

(٩) علماءهم.

(١٠) عبادهم.

(١١) لأنهم يطيعونهم في معصية الله ويتخذونهم أولياء يعبدونهم من دون الله.

(١٢) وهذا ليس من التوحيد وهو وجه كون الآية تفسيراً للتوحيد.

(١٣) تبعيض.

(١٤) جمع ند وهو الشبيه والنظير.

(١٥) هذا يفسر لا إله إلا الله فقد قيد عصمة الدم والمال بقول لا إله إلا الله والكفر بما يعبد من دون الله.

٧- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه[١]

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم[٢] مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ[٣] إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ[٤] هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الآية.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً[٥] في يده حلقة من صفر[٦]، فقال: (ما هذه؟[٧])، قال: من الواهنة[٨]. فقال: (انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً[٩]، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً[١٠]) رواه أحمد بسند لا بأس به، وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: (من تعلق[١١] تميمة[١٢] فلا أتم الله له[١٣]، ومن تعلق ودعة[١٤] فلا ودع الله له[١٥]) وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك[١٦])، ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه[١٧]، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) من الشرك الأصغر إن اعتقد أنها سبب ومن الشرك الأكبر إن اعتقد أنها تدفع أو تنفع ورفعه بعد نزوله ودفعه منعه قبل نزوله.

(٢) أخبروني.

(٣) من الأنداد والآلهة.

(٤) مرض أو فقر أو بلاء.

(٥) هو عمران نفسه كما في رواية الحاكم.

(٦) نحاس.

(٧) الاستفهام للإنكار.

(٨) مرض يصيب العضد.

(٩) ضعفاً.

(١٠) نفى عنه الفلاح لو مات وهي عليه لأنها شرك.

(١١) علقها عليه أو على غيره.

(١٢) التميمة خرزة يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات.

(١٣) دعاء عليه بنقيض قصده.

(١٤) الودعة شيء يشبه الصدف يعلق على الصبيان يتقون به العين.

(١٥) الدعاء عليه يدل على تحريمه وهو من الشرك الأصغر.

(١٦) لأنه أراد دفع القدر وطلب دفع الأذى من غير الله.

(١٧) فيه وجوب إزالة المنكر لمن قدر عليه.

٨- باب ما جاء في الرقي والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً[١] أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر[٢] أو قلادة إلا قطعت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود، وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً[٣] وكل إليه) رواه أحمد والترمذي.

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف[٤]، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والرقى: هي التي تسمى العزائم[٥]، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك[٦]، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته[٧].

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رويفع! لعل الحياة تطول بك[٨]، فأخبر الناس[٩] أن من عقد لحيته[١٠]، أو تقلد وتراً[١١]، أو استنجى برجيع دابة[١٢] أو عظم[١٣]، فإن محمداً بريء منه [١٤]).

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة[١٥]) رواه وكيع، وله[١٦] عن إبراهيم[١٧] قال: كانوا يكرهون[١٨] التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

---

(١) زيد بن حارثة.

(٢) كانوا في الجاهلية إذا اخلولق وتر القوس قلدوه الدواب يعتقدون أنه يدفع المكاره.

(٣) التعلق يكون بالقلب وبالفعل وبهما جميعاً.

(٤) ليس في القرآن ولا السنة ما يدل على جوازه.

(٥) وهي الرقية قال السيوطي أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط، أن تكون من كلام الله وبأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها.

(٦) (لقوله صلى الله عليه وسلم: لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً) أخرجه مسلم.

(٧) ويسمى الصرف والعطف وهو من السحر.

(٨) طالت حياته وتوفي سنة ٥٦ للهجرة.

(٩) الأمر عام في وجوب التبليغ.

(١٠) وكانوا يعقدونها تكبراً وعجباً.

(١١) في عنقه أو دابته.

(١٢) الروث.

(١٣) (لقوله صلى الله عليه وسلم لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنها إخوانكم من الجن) أخرجه مسلم.

(١٤) وعيد شديد يدل على أنها كبائر.

(١٥) مثل أجر عتقها لأنه مستعبد للشيطان.

(١٦) وكيع.

(١٧) بن يزيد الأسود.

(١٨) كراهة تحريم.

٩- باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما؟[١]

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ[٢] اللَّاتَ[٣] وَالْعُزَّى[٤]﴾ الآيات.

عن أبي واقد الليثي، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين[٥] ونحن حدثاء عهد بكفر[٦]، وللمشركين سدرة يعكفون عندها[٧] وينوطون بها أسلحتهم[٨]، يقال لها: ذات أنواط[٩]، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر[١٠]! إنها السنن[١١]، قلتم – والذي نفسي بيده[١٢]- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ[١٣] قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[١٤]﴾، لتركبن سنن[١٥] من كان قبلكم[١٦]). رواه الترمذي وصححه.

---

(١) من: اسم شرط تبرك فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فقد أشرك، والتبرك: هو طلب البركة.

(٢) هل نفعت أو ضرت.

(٣) بالطائف.

(٤) بين مكة والطائف ومناة بين مكة والمدينة.

(٥) وادي شرق مكة.

(٦) أي قريب عهدنا بالكفر فلذلك خفي عليهم هذا الشرك.

(٧) لطلب البركة.

(٨) يعلقونها عليها لتنالها البركة.

(٩) لكثرة ما يناط بها من السلاح.

(١٠) إجلالاً لله وتعجباً من قولهم.

(١١) السنن المذمومة كمن قبلكم.

(١٢) حلف لمزيد التحذير.

(١٣) ما قالوه شكاً في وحدانية الله ولكن طلبوا شيئاً يتقربون به إلى الله وشابهت مقولتهم مقولة بني إسرائيل من جهة طلبهم جميعاً لما يعبدونه من دون الله.

(١٤) تجهلون عظمة الله.

(١٥) بضم السين طرق ويجوز الفتح على الأفراد أي طريقهم.

(١٦) اليهود والنصارى.

١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي[٢] وَمَحْيَايَ[٣] وَمَمَاتِي[٤] لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٥] (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ[٦]﴾ الآية، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[٧]﴾.

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات[٨]: (لعن[٩] الله من ذبح لغير الله[١٠]، لعن الله من لعن ووالديه[١١]. لعن الله من آوى محدثاً[١٢]، لعن الله من غير منار الأرض[١٣]) رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب[١٤]) قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: (مر رجلان على قوم لهم صنم[١٥] لا يجوزه[١٦] أحد حتى يقرب له شيئاً[١٧]، فقالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار[١٨]، وقالوا للآخر: قرب فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة[١٩]) رواه أحمد.

---

(١) أي من الوعيد فالذبح عبادة وصرفه لغيره شرك أكبر.

(٢) ذبحي.

(٣) ما أحيا عليه.

(٤) ما أموت عليه.

(٥) خالصاً لوجهه.

(٦) لا في ذلك ولا في غيره من العبادات.

(٧) قال شيخ الإسلام أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك.

(٨) تطلق الكلمة على الجملة.

(٩) اللعن هو الطرد عن رحمة الله.

(١٠) وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة وبدأ به لغلظ تحريمه كونه من الشرك الأكبر.

(١١) لعناً مباشراً أو تسبب بذلك.

(١٢) هو الفار المستحق للحد الشرعي قال ابن القيم وهذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف الحدث فكلما كان الحدث أكبر كانت الكبيرة أعظم.

(١٣) حدودها ليغتصب من أرض جاره ويدخل فيه الأعلام التي توضع على الطرق لهداية السالكين.

(١٤) أي بسببه.

(١٥) والصنم ما كان منحوتاً على صورة وعبد من دون الله ويطلق عليه الوثن.

(١٦) لا يتعداه.

(١٧) تعظيماً للصنم.

(١٨) لأنه قصد غير الله بقلبه وفيه بيان خطورة الشرك ولو في الشيء اليسير.

(١٩) لتعظيمه لله وتمسكه بالتوحيد.

١١- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا[٢]﴾ الآية.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة[٣]، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هل كان فيها وثن[٤] من أوثان الجاهلية يعبد[٥])؟ قالوا: لا. قال: (فهل كان فيها عيد[٦] من أعيادهم)؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوف بنذرك[٧]، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما.

١٢- باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[٨]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ[٩]﴾.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه[١٠]، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه[١١]).

---

(١) لما فيه من مشابهة المشركين وسداً لذريعة الشرك.

(٢) لا تصل في مسجد الضرار وقد بناه المنافقون مضارة لمسجد قباء وكفراً بالله ورسوله ومطابقة الباب للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على الكفر بالله نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة وإن كانت الصلاة لله فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله.

(٣) هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.

(٤) الوثن يتناول كل معبود من دون الله من صورة أو قبر.

(٥) ولو بعد زواله.

(٦) اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد.

(٧) لخلوه من الموانع.

(٨) مدح الموفين بالنذر لكونه عبادة وصرفه لغير الله من الشرك الأكبر.

(٩) ويجازي عليه ومن نذر لغير الله فلا وفاء عليه ولا كفارة ويلزمه التوبة.

(١٠) وجوباً.

(١١) لا يوفي به وفي وجوب الكفارة خلاف.

١٣- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ[٢] فَزَادُوهُمْ رَهَقًا[٣]﴾.

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ[٤] بكلمات الله[٥] التامات[٦] من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) رواه مسلم.

١٤- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره[٧]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ[٨] مِنْ دُونِ اللَّهِ[٩] مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ[١٠] فَإِنْ فَعَلْتَ[١١] فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ[١٢] (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ[١٣] فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، وقوله: ﴿فَابْتَغُوا[١٤] عِنْدَ اللَّهِ[١٥] الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ[١٦] مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ[١٧] مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآيتان، وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق[١٨] يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي[١٩]، وإنما يستغاث بالله عز وجل[٢٠]).

---

(١) الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام والتحرز، وحقيقته الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه.

(٢) كانوا عندما ينزلون منزلاً أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه.

(٣) خوفاً وذعراً.

(٤) ألتجئ وأعتصم.

(٥) القرآن الكريم.

(٦) الكاملات التي لا نقص فيها.

(٧) الاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون في الشدة وغيرها فهو من باب عطف العام على الخاص.

(٨) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبرأ منه مبالغة في الزجر والتحذير.

(٩) غير الله.

(١٠) لبيان الواقع.

(١١) دعوت غيره.

(١٢) المشركين.

(١٣) فقر أو مرض أو غيره.

(١٤) اطلبوا.

(١٥) تقديم الظرف يفيد الاختصاص.

(١٦) لا أضل.

(١٧) وثن أو ولي أو غيره.

(١٨) هو عبد الله بن أبي بن سلول.

(١٩) ومن دونه بطريق الأولى.

(٢٠) سداً لذرائع الشرك وتحذيراً من وسائله.

١٥- باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية[١]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ[٢]﴾ الآية.

وفي الصحيح عن أنس قال: شج[٣] النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم)[٤]؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٥]، وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: (اللهم العن فلاناً وفلاناً) بعدما يقول: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد) فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام[٦]، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٧]، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: (يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً، و يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً[٨]).

---

(١) الاستفهام إنكار وتوبيخ فالذي لا يخلق بل هو مخلوق ولا ينصر نفسه فضلاً عن غيره لا يستحق العبادة وأن الخالق سبحانه هو المستحق للعبادة وحده.

(٢) القشر على النواة.

(٣) الجرح في الوجه والرأس خاصة.

(٤) الاستفهام للاستبعاد.

(٥) الحكم عليهم.

(٦) لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد.

(٧) ثم تاب الله عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم.

(٨) فيه أن الاعتماد على النسب لا يغني الإنسان إنما الذي يخلص العبد عمله.

١٦- باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[١]

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء[٢] ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً[٣] لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[٤] ينفذهم ذلك[٥]. حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع[٦]- ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض- وصفه سفيان[٧] بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب[٨] قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك[٩] الكلمة التي سمعت من السماء).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله[١٠] تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة[١١]- أو قال رعدة- شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً[١٢]. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل)[١٣].

---

(١) أي أزيل الفزع عن قلوب الملائكة من الغشية التي تصيبهم عند سماع الوحي هيبة وتعظيماً لله.

(٢) فأوحاه إلى جبريل.

(٣) خاضعين خائفين مع ما أعطاهم الله من القوة والعظمة فكيف بغيرهم؟

(٤) الحجر الأملس.

(٥) يخلص إلى قلوبهم.

(٦) من الشياطين.

(٧) بن عيينة.

(٨) النجم الذي يرمي به..

(٩) الباء سببية أي بسبب.

(١٠) الإرادة من صفات الله وهي قسمان شرعية وكونية.

(١١) حركة واضطراب.

(١٢) لعظمته سبحانه.

(١٣) فمن هذه صفاته وعظمته لا يجوز أن يشرك معه في العبادة غيره فالمخلوقات مهما عظمت فهي محتاجة إليه معبودة له وجلة منه.

١٧- باب الشفاعة[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ[٢] بِهِ[٣] الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ[٤] لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ[٥]﴾، وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[٦]، وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٧]، وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي[٨] شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَاللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى[٩]﴾، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ[١٠] لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ[١١]﴾ الآيتين.

قال أبو العباس[١٢]: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله[١٣].

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع[١٤]، ليكرمه وينال المقام المحمود[١٥]. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

---

(١) هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وهي نوعان: منفية وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ومثبتة وهي التي تطلب من الله ولا تكون إلا لأهل التوحيد. ومقيدة بأمرين إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له.

(٢) خوف.

(٣) القرآن.

(٤) يوم القيامة.

(٥) تركوا التعلق على الشفعاء لمنافاته للإخلاص وعملوا بطاعة الله طلباً للنجاة.

(٦) اللام للملك أي هي ملك لله تعالى.

(٧) فيها شرط إذن الله للشافع.

(٨) لا تنفع.

(٩) شرط الإذن للشافع.

ويشترط رضا الله عن المشفوع له.

(١٠) أنهم آلهة.

(١١) من خير وشر ونفع وضر.

(١٢) ابن تيمية.

(١٣) فرضي الله عنه.

(١٤) بعد إذنه سبحانه للشافع.

(١٥) مقام الشفاعة الذي يحمد فيه.

١٨- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية[١]

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة[٢] جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: (يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)[٣] فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا ، فكان آخر ما قال: هو[٤] على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن[٥] لك ما لم أنه عنك)، فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية. وأنزل الله في أبي طالب: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء[٦]) .

---

(١) اجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب.

(٢) الهداية نوعان: هداية توفيق وهذه لله وحده، وهداية دلالة دليلها قول الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. والترجمة تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يهدي من أحب إلا أن يشاء الله وأنه لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه فبهذا بطلت عبادته من دون الله وغيره أولى. حضرته علاماتها ومقدماتها.

(٣) حرصاً على هدايته.

(٤) أشهد لك بها عند الله.

(٥) لم يقل الراوي أنا استقباحاً للفظ المذكور.

(٦) اللام للقسم.

١٩- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين[١]

وقول الله عز وجل : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا[٢] فِي دِينِكُمْ ﴾.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تطروني[٣] كما أطرت النصارى ابن مريم[٤]، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله أخرجاه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو[٥]).

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً[٦] .

---

(١) الغلو هو تعدي ما أمر الله به والتشدد في الدين.

(٢) لا تتعدوا ما حد الله لكم.

(٣) الإطراء مجاوزة الحد في المدح.

(٤) حتى إدعوا فيه الإلهية.

(٥) قال شيخ الإسلام هذا الحديث عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

(٦) كررها مبالغة في الإبلاغ والتعليم.

٢٠- باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح[١] فكيف إذا عبده

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في أرض الحبشة[٢] وما فيها من الصور[٣]. فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً[٤]، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)[٥]، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه[٦]، فإذا اغتم بها كشفها[٧]، فقال – وهو كذلك[٨]–: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٩]). يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره[١٠]، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[١١]. أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس[١٢] وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً[١٣]، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً[١٤]، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)[١٥].

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[١٦].

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء[١٧] والذين يتخذون القبور مساجد[١٨]). رواه أبو حاتم في صحيحه.

---

(١) لأنه وسيلة إلى الشرك.

(٢) الكنيسة: متعبد النصارى وقد ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته.

(٣) أي ذكرت له ما فيها من تلك الصور.

(٤) موضعاً للعبادة وإن لم يسم مسجداً كالكنائس والمشاهد.

(٥) صاروا شرار الخلق لضلالهم ولسنهم الغلو في قبور صالحيهم وهو عام فيمن فعل مثلهم من هذه الأمة وفي الحديث دلالة على تحريم بناء المساجد على القبور.

(٦) طفق: جعل والخميصة: كساء.

(٧) أي إذا غمته فاحتبس نفسه كشفها عن وجهه لشدة ما يعالج.

(٨) أي في هذه الحالة الحرجة لشدة اهتمامه بالتوحيد وخوفه أن يعظم قبره.

(٩) في هذا اللعن تحذير شديد لئلا تقع أمته في شيء من فعلهم عند قبره.

(١٠) أي لولا تحذير النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعوا ولعنه من فعل ذلك لدفن خارج بيته.

(١١) فلذلك أمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه.

(١٢) بخمس ليال.

(١٣) الخلة أعلى من المحبة وهي تخلل المودة في القلب وتبرأ من خلة غير الله لئلا تزاحمها.

(١٤) فيه فضيلة أبي بكر وفيه رد على الرافضة.

(١٥) يحذر الأمة أن تتخذ القبور مساجد كالذين من قبلهم سداً لذريعة الشرك.

(١٦) وعن أبي سعيد مرفوعاً "الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام" أخرجه الخمسة والعلة من النهي عن الصلاة في المقبرة الخوف على الأمة من الشرك.

(١٧) أي ينفخ في الصور نفخة الفزع وهي الأولى وهم أحياء.

(١٨) لأن هذا من عمل اليهود والنصارى وقد لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

٢١- باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله[١]

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٢])، ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: (أفرءيتم اللات والعزى)، قال كان يلت لهم السويق[٣] فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج[٥]. رواه أهل السنن.

٢٢- باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك[٦]

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[٧]﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً[٨]، ولا تجعلوا قبري عيداً[٩]، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم[١٠]) رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم[١١]) رواه في المختارة.

---

(١) الغلو فيها هي مجاوزة الحد بالبناء عليها واتخاذ المساجد عليها والصلاة عندها والوثن يعم الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله.

(١) خاف صلى الله عليه وسلم أن يقع في أمته ذلك وقد استجاب الله دعاءه فصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران مثلثه لا يستطيع أحد استقباله.

(٢) تنبيهاً على سبب لحوق شدة الغضب عليهم ولعنهم.

(٣) يلت السويق يخلط الدقيق من الحنطة والشعير بالسمن أو الماء ويقدمه للحجاج فلما مات غلو فيه وعظموه لأجل عمله الصالح الذي كان يعمل فعكفوا على قبره حتى عبدوه.

(٤) اللعن الطرد والإبعاد وزائرات جمع زائرة وفي رواية "زوارات" وفيه دلالة على تحريم زيارة النساء للقبور لما فيها من الضعف وربما جزعت وناحت.

(٥) وفي صحيح مسلم "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها".

وقال ابن القيم: اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر.

(٦) المراد: حمايته التوحيد مما يقرب منه أو يخالفه من الشرك وأسبابه.

(٧) ومن حرصه على أمته ورأفته ورحمته بهم أن حذرهم من الشرك.

(٨) لا تهجروها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور.

(٩) العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام ويتكرر على وجه معتاد وقد نهى عن زيارة قبره على هذا الوجه المخصوص في زمان مخصوص وقبر غيره أولى بالنهي.

(١٠) أي أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل من القريب والبعيد على حد سواء.

(١١) في الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم فذلك من اتخاذها أعيادا ومن أسباب الشرك.

٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان[١]

وقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ[٢] يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ[٣] وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا[٤]**﴾، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ[٥]**﴾، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا[٦]**﴾.

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة[٧]، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه[٨]) قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن[٩])؟ أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله زوى لي الأرض[١٠]، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها[١١]، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض[١٢]، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة[١٣]، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[١٤]، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد[١٥] وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً[١٦])، ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين[١٧]، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة[١٨]، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين[١٩]، وحتى تعبد فئام[٢٠] من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي[٢١]، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي[٢٢]. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى [٢٣]).

---

(١) أي أن الشرك لابد وأن يقع في هذه الأمة بعبادة الأوثان وأن الشيطان أيس أن يعبد في جزيرة العرب لا يدل على عدمه.
(٢) أعطوا حظاً من الكتاب وهم اليهود والنصارى.
(٣) تقع على الصنم والكاهن والساحر.
(٤) يفضلون الكفار على المسلمين. ومطابقة الآية للترجمة أنه إذا وقع الشرك والإيمان بالجبت والطاغوت من أهل الكتاب فهذه الأمة لا يستنكر ولا يستبعد أن تعبد الجبت والطاغوت كما فعلت الأمم السابقة.
(٥) في هذه الآية دلالة على أن هذه الأمة ستقع في الشرك كما حصل فيمن قبلهم ممن لعنهم الله وغضب عليهم من أهل الكتاب.
(٦) اتخاذ المساجد على القبور من وسائل الشرك وقد حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم ولعن من فعله.
(٧) ريش السهم أي كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى.
(٨) لشدة مشابهتكم لهم وبيان أن هذه الأمة لا تدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته.
(٩) والمؤلف ساق هذا الحديث بعد الآيات السابقة التي بينت وقوع الشرك من أهل الكتاب ليستدل به على وقوع الشرك من هذه الأمة لشدة مشابهتها للأمم السابقة.
(١٠) جمع أطرافها وقرب بعيدها.
(١١) وقد وقع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم.
(١٢) ذهب قيصر وفضة كسرى وهي غالب أموالهم.
(١٣) سنة: قحط وجدب يعمهم جميعاً.
(١٤) أي لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم من الكفار فيستأصل جماعتهم.
(١٥) هذا من كمال سلطان الله وربوبيته.
(١٦) وهذا تقييد للإجابة الثانية فإذا وقع ذلك منهم فقد يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم.
(١٧) من يقتدي بهم من الأمراء والعلماء والعباد فهم يضلون من اقتدى بهم.
(١٨) وقد يكثر تارة ويقل أخرى ويكون في جهة دون أخرى وقد حدث هذا بالأمة منذ مقتل عثمان رضي الله عنه.
(١٩) حي من أمتي يعني قبائل يرتدون ويكونون معهم.
(٢٠) الفئام: الجماعات وقد وقع في كثير من بلاد المسلمين.
(٢١) المراد ممن تقوم لهم شوكة وأما مطلقاً فلا يحصون.
(٢٢) "ولكن رسول الله وخاتم النبيين".
(٢٣) لم يحدد مكانها فتشمل جميع بقاع الأرض وهي طائفة واحدة قائمة بالعلم والجهاد.

٢٤- باب ما جاء ف ي السحر[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ[٢]﴾، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[٣]. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات[٤]) قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: (الشرك بالله[٥]، والسحر[٦]، وقتل النفس التي حرم الله[٧] إلا بالحق[٨]، وأكل الربا[٩]، وأكل مال اليتيم[١٠]، والتولي يوم الزحف[١١]، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[١٢]).

وعن جندب مرفوعاً: (حد الساحر ضربه بالسيف[١٣]) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر[١٤].

وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[١٥].

---

(١) أي من الوعيد وبيان منافاته للتوحيد وتكفير فاعله. والسحر: ما خفي ولطف سببه.

(٢) اشتراه: تعلمه. من خلاق: نصيب.

(٣) واليهود كانوا أكثر الناس تعلماً للسحر وممارسة له ولبيد بن الأعصم اليهودي هو الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وتفسير الطاغوت بالشيطان من باب التفسير بالمثال.

(٤) قوله "اجتنبوا" أبلغ من قوله لا تفعلوا "السبع" ليس هذا دليل على عدم وجود غيرها وإنما ذكرت للحصر لبعض الأنواع "الموبقات" المهلكات.

(٥) قدمه لأنه أعظم الموبقات قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

(٦) ظاهره أنه لا فرق بين أن يكون ذلك بواسطة الشياطين لأنه شرك أو بواسطة الأدوية والعقاقير وهو من العدوان والجرم العظيم.

(٧) الأنفس التي حرمها الله أربعة أ- المؤمن. ب- الذمي: وهو الذي يدفع الجزية ويقيم في بلاد المسلمين بعهد.
ج- المعاهد: بيننا وبينه عهد في بلاده. د- المستأمن: لوقت محدد دخل بلاد المسلمين.

(٨) إلا بالحق: أي ما يوجب القتل: كالثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة.

(٩) بقسمية الفضل والنسيئة.

(١٠) اليتيم من مات أبوه قبل بلوغه.

(١١) الأدبار عند تلاحم الصفين للقتال.

(١٢) رميهن بالزنا.

(١٣) ظاهره أنه لا يكفر وهو محمول على ما يكون بالأدوية والعقاقير. وضربه بالسيف كناية عن القتل.

(١٤) يجب قتل الساحر ولا يستتاب إما مرتداً أو حداً على حسب سحره.

(١٥) قال أحمد بن حنبل والثلاثة هم عمر وحفصه وجندب بن كعب الأزدي وهو غير جندب بن جنادة.

٢٥- باب بيان شيء من أنواع السحر[١]

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت[٢]). قال عوف: العيافة: زجر الطير[٣]، والطرق: الخط يخط بالأرض[٤] والجبت، قال الحسن: رنة الشيطان[٥]. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس[٦] شعبة من النجوم[٧]، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد[٨]) رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر[٩]، ومن سحر فقد أشرك[١٠]، ومن تعلق شيئاً وكل إليه[١١]).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا هل أنبئكم ما الغضة[١٢]؟ هي النميمة، القالة بين الناس[١٣]) رواه مسلم. ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من البيان لسحراً)[١٤].

---

(١) أي بيان حقائقها مع حكمها.

(٢) أي السحر وسبق أن الجبت تقع على الصنم والكاهن والساحر.

(٣) زجره للتشاؤم أو التفاؤل.

(٤) المراد ما يخطه الرمالون وغيرهم ويدعون به علم المغيبات ومن الطرق الضرب بالحصى والودع والخرز الذي يفعله النساء.

(٥) الرنة: الصوت وإضافته إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إليه.

(٦) اقتبس: تعلم وأخذ.

(٧) أي جزء من علم النجوم الذي يستدل به على الحوادث الأرضية ويسمى علم التأثير. وأما ما يسمى بعلم التسيير وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات فهو جائز.

(٨) أي كلما زاد من تعلم النجوم زاد اقتباسه من شعب السحر.

(٩) وذلك أن السحرة يعقدون الخيوط وينفثون على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدونه من السحر قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك. والنفث هو النفخ بالريق وهو دون التفل.

(١٠) هذا دليل على شرك الساحر وهو محمول على من سحر بالأعوان الشيطانية.

(١١) أي من تعلق قلبه بشيء واعتمد عليه وكله الله لذلك الشيء وتخلى عنه.

(١٢) ألا: أداة استفتاح والاستفهام للتشويق. والعضة بفتح ثم سكون وهي الكذب والبهتان والسحر.

(١٣) والنميمة تشبه السحر من حيث التفريق قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾.

(١٤) البيان هو الفصاحة والبلاغة. وشبهه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له فهو يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق.

٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج[١] النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه[٢]، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً[٣]).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم[٤]) رواه أبو داود. وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة: (من أتى عرافاً أو كاهناً[٥] فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم). ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: (ليس منا[٦] من تطير أو تطير[٧] له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى.." الخ.

قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس – في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم[٨]–: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

---

(١) هي حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

(٢) ليس في مسلم "فصدقه" فظاهر الحديث أن الوعيد مترتب على المجيء وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم مرفوعاً "فلا تأتهم" يعني الكهان.

(٣) أي لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئه ولا تلزمه الإعادة إجماعاً.

(٤) أي كفر بالقرآن والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ومن صدق الكاهن فقد ادعى أنه يعلم الغيب وهذا من الكفر المخرج من الملة لكن إن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفر دون كفر.

(٥) أو: يحتمل أن تكون للشك ويحتمل أن تكون للتنويع وجاء المؤلف بهذا الحديث زيادة في الدلالة.

(٦) فيه وعيد شديد.

(٧) تطير: فعل الطير. تطير له: قبلها وكذا الكهانة والسحر. والراضي كالفاعل لقبوله الباطل.

(٨) يدعون بذلك علم الغيب. والخلاق النصيب.

٢٧- باب ما جاء في النشرة[١]

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة[٢] فقال: (هي من عمل الشيطان[٣]) رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله[٤].

وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب رجل به طب[٥] أو يؤخذ عن امرأته[٦]، أيحل عنه أو ينشر[٧]؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه[٨]. أ. هـ.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر[٩].

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر[١٠] إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

---

(١) النشرة: حل السحر عن المسحور.

(٢) ال للعهد أي النشرة المعهودة في الجاهلية.

(٣) أي بواسطته لأنهم ينشرون عن المسحور بأسحار واستخدامات شيطانية وربطها بعمل الشيطان تنبيهاً لقبحها وهي أبلغ من قوله حرام.

(٤) كراهة تحريم والكراهة عند المتقدمين يراد بها التحريم.

(٥) سحر وسمي طباً من باب التفاؤل.

(٦) يحبس عنها فلا يصل إليها لما به من السحر.

(٧) أو هنا للشك لأن الحل هو النشرة.

(٨) يحمل كلام ابن المسيب على النشرة المباحة بالأدوية والرقية المشروعة.

(٩) أي لا يكاد يقدر عليها إلا ساحر.

(١٠) الناشر هو الذي يحل السحر والمنتشر هو الذي يحل عنه السحر بطلبه أو رضاه.

٢٨- باب ما جاء في التطير[١]

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٢]﴾، وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ[٣]﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى[٤]، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر[٥]) أخرجاه، زاد مسلم: (ولا نوء، ولا غول[٦]).

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل) قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة)[٧].

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً[٨] فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)[٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (الطيرة شرك، الطيرة شرك[١٠]، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل[١١]) رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: (من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك) قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك[١٢])، وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك[١٣]).

---

(١) التطير: التشاؤم بمرئي أو مسموع.

(٢) هذا رد لمقالة ال فرعون قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي أصابنا بسببهم فقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي شؤمهم وما قدر عليهم إنما هو من الله.

(٣) أي راجع عليكم. ولا تنافي بين الآيتين فالأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله والثانية تبين سببه.

(٤) لا عدوى: لا نافية للجنس والعدوى انتقال المرض من المريض إلى الصحيح.

(٥) الطيرة هي التطير وسبق تعريفه. والهامه: طائر البوم وكانت العرب تتشاءم منه وكذلك صفر وهو شهر صفر ونفي هذه إلى ربع ليس نفياً لوجودها ولكنه نفي للتأثير فالمؤثر هو الله.

وفي مسلم "لا يورد ممرض على مصح" وفي البخاري "فر من المجذوم فرارك من الأسد".

(٦) النوء: يزعمون أنهم يمطرون به وسيأتي في بابه والغول: هي جنس من الشياطين وليس المراد نفي وجودها بل ما تزعمه العرب من معرفة في نفسه وأنها لا تستطيع أن تقتل أحداً مع ذكر الله.

(٧) الفأل أعجبه لما فيه من حسن الظن بالله أما الطيرة ففيها سوء ظن بالله تعالى. (٨) إنما ترد المشرك الذي يعتقدها.

(٩) المراد بالحسنات هنا النعم والسيئات المصائب وفيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر.

(١٠) صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من التعلق بغير الله وسوء الظن بالله.

(١١) أي وما منا إلا ويخطر له ويقع في قلبه شيء من الطيرة لكن اذهبه الله عنا بتوكلنا عليه.

(١٢) هذه كفاره الطيرة وهي لا تضر من كرهها ومعني في طريقه.

(١٣) هذا بيان حد الطيرة المنهي عنها وهي ما يحمل الإنسان على المعنى فيما أراده أو يمنعه من المعنى ومن معنى أو امتنع بسببها فقد أشرك.

٢٩- باب ما جاء في التنجيم[١]

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها[٢]. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به[٣]. أهـ.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما[٤]، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق[٥].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يدخلون الجنة[٦]: مدمن الخمر[٧]، وقاطع الرحم[٨]، ومصدق بالسحر[٩]) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

---

(١) التنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

(٢) يدل لذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ وقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

(٣) أي من زعم فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع حظه من الدين وأشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.

(٤) سداً للباب لئلا يتوصل إلى الممنوع.

(٥) يحمل على ما فيه منفعة دينية كتعلم الأوقات والطرقات ودنيوية للفلاح وغيره.

(٦) من أحاديث الوعيد نقرها ولا نتناولها فأديلات نخرجها عن مقصود الشارع لأنه أبلغ في الزجر.

(٧) المداوم على شربها حتى مات ولم يتب.

(٨) الرحم القرابة.

(٩) أي جميع أنواع السحر والتنجيم من السحر لحديث "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر" وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء[١]

وقول الله تعالى: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ**[٢] **أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**[٣]﴾.

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن[٤]: الفخر بالأحساب[٥]، والطعن في الأنساب[٦]، والاستسقاء بالنجوم[٧]، والنياحة[٨])، وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة[٩] وعليها سربال[١٠] من قطران[١١] ودرع من جرب[١٢]) رواه مسلم. ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا[١٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية[١٤] على إثر سماء[١٥] كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس[١٦] فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟[١٧])، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)[١٨]. ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**[١٩]﴾ - إلى قوله - ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**[٢٠]﴾.

---

(١) من النهي وبيان أنه كفر.

والاستسقاء: طلب السقيا. والمراد نسبة مجيء المطر للأنواء وهي ثمانية وعشرون نجماً مدة كل نجم ثلاث عشرة ليلة.

(٢) الخير بنزول المطر.

(٣) بنسبتها لغير الله.

(٤) أي ستفعلها هذه الأمة وتارة تقل وتارة تكثر.

(٥) التعاظم بعد مناقب الآباء وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وفخر الإنسان بعمله منهي عنه فكيف افتخاره بعمل غيره. ونسبتها للجاهلية دليل على ذمها.

(٦) ذم الناس بأنسابهم. ولما عير أبو ذر رجلاً بأمه قال عليه الصلاة والسلام "إنك امرؤ فيك جاهلية" متفق عليه.

(٧) أي نسبة مجيء المطر إلى النجوم. فإن اعتقد أن لها تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك أكبر وإن نسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاده أن الله هو الفاعل فهذا من الشرك الأصغر.

(٨) رفع الصوت لأن ذلك تسخط بقضاء الله وقدره وهو من الكبائر أما مجرد البكاء فجائز.

(٩) تبعث من قبرها.

(١٠) السربال: الثوب ونحوه.

(١١) قال ابن عباس: القطران هو النحاس المذاب.

(١٢) الجرب: مرض والبست القطران والجرب عوضاً عن ما مزقته في الدنيا من أجل المصيبة.

(١٣) أي بنا.

(١٤) هي ما تسمى الآن بالشميسي كان بها الصلح سنة ٦هـ وهو الفتح المبين.

(١٥) أي مطر.

(١٦) التفت إليهم.

(١٧) الاستفهام للتنبيه.

(١٨) هذا من الاستسقاء بالأنواء.

(١٩) مواقعها: مغاربها ومطالعها.

(٢٠) الشاهد قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ وسبقت في أول الباب.

٣١- باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ[١]﴾ الآية

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ - إلى قول تعالى ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[٢]﴾ الآية.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم[٣] حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخرجاه، ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان[٤]: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما[٥]، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله[٦]، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار[٧])، وفي رواية: (لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..) إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله[٨]، وأبغض في الله[٩]، ووالى في الله، وعادى في الله[١٠]، فإنما تنال ولاية الله بذلك[١١]، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك[١٢]. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً[١٣]) رواه بن جرير، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[١٤] قال: المودة.

---

(١) أي يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم. وهذا هو شرك المحبة وهو شرك أكبر. فالمحبة المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم لا تكون إلا لله أما المحبة الطبيعية فجائزة.

(٢) هذه الآية فيها وعيد لمن أحب هذه الأصناف فأثرها على حب الله ورسوله.

(٣) المراد كمال الإيمان. ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن تقدم على حب النفس والولد والوالد والمال وهي تقتضي طاعته وإتباعه وفي البخاري أن عمر رضي الله عنه قال: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: "والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" قال عمر: فإنك أحب إلي من نفسي فقال: "الآن يا عمر".

(٤) لذة القلب ونعيمه وسروره.

(٥) مما يحبه الإنسان بطبعه كالمال والولد والأزواج وثنى الضمير لتلازم المحبتين.

(٦) لأجل طاعته لله ومن لازم محبة الله محبة أهل طاعته. وحقيقة الحب في الله أن لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر.

(٧) كراهة عودة الكفر تساوي كراهة قذفه في النار.

(٨) أحب أهل الإيمان بالله.

(٩) أي أبغض من كفر بالله.

(١٠) والى بالمحبة والنصرة بقدر طاقته وعادى بالبغض والمجاهدة من كان عدواً لله.

(١١) توليه للعبد بالمحبة والنصرة.

(١٢) أي حتى يحب في الله ويبغض في الله.

(١٣) بل يضرهم قال تعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

(١٤) المودة التي كانت في الدنيا تقطعت بهم أحوج ما كانوا إليها.

٣٢- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا[١] ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ[٢] فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[٣]﴾.

وقوله: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ**[٤]﴾ الآية، وقوله: ﴿**وَمِنَ**[٥] **النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ**[٦] **فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ**[٨] **كَعَذَابِ اللَّهِ**[٩]﴾ الآية.

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من ضعف اليقين[١٠] أن ترضى الناس بسخط الله[١١]، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره [١٢]). وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس[١٣]) رواه ابن حبان في صحيحه.

---

(١) إنما: أداة حصر.

(٢) يخوف أولياءه: أي يخوفكم بأوليائه.

(٣) جعله شرطاً في الإيمان والخوف أقسام منها: أ- خوف العبادة ويجب إخلاصه لله وصرفه لغيره شرك أكبر. ب- الخوف الذي يترك لأجله ما أوجب الله عليه من الجهاد والأمر بالمعروف وهذا منافي لكمال التوحيد. ج- الخوف الطبيعي: كخوفه من العدو أو من سبع ونحوه.

(٤) في الآية إخلاص الخشية لله.

(٥) بعض فمن تبعيضيه.

(٦) بلسانه.

(٧) لأجل الله.

(٨) فتنتهم له بالتعذيب.

(٩) مثل عذاب الله فارتد.

(١٠) اليقين: ضد الشك وهو كمال الإيمان.

(١١) فتترك الواجب وتفعل المحرم موافقة لهم.

(١٢) فكل شيء بقضاء الله وقدره ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهو سبحانه المتفرد بالعطاء والمنع عنه اعتقد ذلك فمن اعتقد ذلك لم يمدح مخلوقاً على رزق ولم يذمه على منع ويفوض أمره إلى الله.

(١٣) الشاهد "ومن التمس رضى الناس بسخط الله".

٣٣- باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[(١)]﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ[(٢)]﴾ الآية، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[(٣)]﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ[(٤)]﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: - حسبنا الله ونعم الوكيل[(٥)] - قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) رواه البخاري والنسائي.

٣٤- باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ[(٦)]﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ[(٧)]﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر، فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله[(٨)]، والأمن من مكر الله[(٩)]).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) رواه عبد الرزاق.

---

(١) التوكل الاعتماد والتفويض وهو من العبادات التي يجب إخلاصها لله والآية إفادة الحصر حيث قدم ما حقه التأخير وفيها جعل الله التوكل شرطاً في الإيمان.

(٢) الشاهد قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

(٣) أي كافيك وكافي أتباعك فيجب ألا يتوكل إلا عليه.

(٤) دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

(٥) قالها بعد أحد. وهذا هو دعاء الكرب.

(٦) مكر الله: استدراجه العبد العاصي بالنعم. والأمن من مكر الله من أعظم الذنوب والواجب على المؤمن السير بين الخوف والرجاء فلا يغلب جانب الرجاء فيأمن مكر الله ولا يغلب جانب الخوف فييأس من روح الله.

(٧) القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه وسوء الظن بالله وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ينافي كمال التوحيد.

(٨) لما فيه من سوء ظن بالله.

(٩) لأن ذلك جهل بالله وعجب بالنفس والحديث في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً. قاله ابن كثير.

٣٥- باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ[٢] وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[٣]﴾.

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر[٤]: الطعن في النسب، والنياحة على الميت). ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: (ليس منا[٥] من ضرب الخدود[٦]، وشق الجيوب[٧]، ودعا بدعوى الجاهلية[٨]).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا[٩]، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة[١٠])، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء[١١]، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم[١٢]، فمن رضي فله الرضى[١٣]، ومن سخط فله السخط[١٤]) حسنه الترمذي.

---

(١) الصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن اللطم وشق الجيوب.

(٢) أي من علم أن المصيبة بقدر الله فصبر واحتسب هدى الله قبله وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قبله وخلف عليه.

(٣) علم الله متضمن لحكمته وهذا يوجب الصبر والرضا.

(٤) ليس من قام به شعبه من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً. الإيمان المطلق. وفرق بين الكفر المعرف باللام وبين كفر منكر.

(٥) هذا من نصوص الوعيد وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد كراهية تأويلها ليكون أبلغ في الزجر وفيه منافاة لكمال التوحيد.

(٦) خص الخد لكونه الغالب وإلا فضرب بقيه الوجه مثله.

(٧) مدخل الرأس وهو من عادات الجاهلية حزناً على الميت.

(٨) ندب الميت.

(٩) أي ابتلاه بالمصائب قال شيخ الإسلام المصائب نعمة لأنها مكفرات للذنوب.

(١٠) أي أخر عنه العقوبة بذنبه.

(١١) يثاب على المصائب إذا صبر واحتسب أما مجرد المصائب فرجح ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط. إلا إذا كانت سبباً لعمل صالح على الصبر والرضا والتوبة والاستغفار.

(١٢) وقال "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" الحديث.

(١٣) الرضا أن يسلم العبد أمره إلى الله. وقوله "فله الرضا يعني من الله والرضا من صفات الله تعالى الفعلية. وكذلك السخط.

(١٤) السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به.

٣٦- باب ما جاء في الرياء[1]

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا[2]﴾ الآية.

عن أبي هريرة مرفوعاً: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه[3]) رواه مسلم وعن أبي سعيد مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) قالوا: بلى يا رسول الله! قال: (الشرك الخفي[4]، يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل) رواه أحمد.

٣٧- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا[5]

وقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[6]﴾ الآيتين.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعس[7] عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس[8] وإذا شيك فلا انتقش[9]، طوبى[10] لعبد أخذ بعنان[11] فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه[12]، إن كان في[13] الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

---

(١) المراد بالرياء: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها. وهو شرك أصغر ما لم يرد في أصل العمل.

(٢) الآية تضمنت النهي عن قليل الشرك وكثيره صغيره وكبيره ومنه الرياء.

(٣) أي من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه فالله لا يقبل العمل الذي جعل له فيه شريك.

(٤) سماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله.

(٥) من الشرك لأنه منافي لكمال التوحيد.

(٦) قال قتاده: يقول تعالى من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة.

(٧) تعس: سقط وهلك وسماه عبداً لشدة شغفه بها وحرصه عليها ولكونها هي المقصود بعمله.

(٨) انتكس: قال الحافظ: أي عاوده المرض.

(٩) إذا أصابته شوكه فلا يقدر على إخراجها بالمنفاش وهو دعاء عليه.

(١٠) اسم الجنة وقيل شجرة فيها.

(١١) العنان اللجام.

(١٢) شغله الجهاد عن التنعم.

(١٣) الحراسة حماية الجيش والساقة أخر الجيش وذكرهما لأنهما أشد مشقة.

وقوله "لم يؤذن له" "ولم يشفع" عند أهل الدنيا من الأمراء ونحوهم والمعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو.

٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله[١]

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟![٢]

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**[٣] **أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**[٤]﴾، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك[٥].

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله، فتحلونه؟، فقلت: بلى. قال: (فتلك عبادتهم)[٦] رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

---

(١) أي شركاء. وكل من أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

(٢) إذا كان هذا قول ابن عباس في أبي بكر وعمر فكيف بمن ترك السنة لقول من هو دونهم؟.

(٣) فتنة في الدنيا بأن يطبع على قلبه فيقع في الشرك.

(٤) عذاب مؤلم في الآخرة.

(٥) تنبيه من الإمام أحمد أن رد قول الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لزيغ القلب ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

(٦) الحديث في أن طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام عبادة لهم من دون الله وهي من الشرك الأكبر.

٣٩- باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا[١]﴾ الآيات.

وقوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ[٢] قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾، وقوله: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا[٣]**﴾ الآية، وقوله: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾[٤] الآية.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه[٥] تبعاً لما جئت به) قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ**[٦]﴾ الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف[٧]، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله[٨].

---

(١) الاستفهام للإنكار. والآية دالة على كفر من أراد التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع من لوازم الشهادة. كما أن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد قال تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

(٢) أي لا تعصوا الله في الأرض. ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من الفساد في الأرض.

(٣) لا تفسدوا فيها بالمعاصي بعد إصلاحها ببعثة الرسل.

(٤) إنكار على من خرج عن حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ استفهام إنكار.

(٥) الهوى: ميل النفس إلى مشتهيات الطبع. والمعنى لا يكون مؤمناً كامل الإيمان حتى يكون ما تميل إليه نفسه وتحبه موافقاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٦) يدل الأثر على أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى.

(٧) يهودي من طي قتله محمد بن مسلمه وأصحابه في السنة الثالثة للهجرة.

(٨) هذه القصة متداولة بين السلف والخلف وفيها أن المنافق إذا أظهر نفاقه قتل وإنما ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل من أظهر نفاقه منهم تأليفاً للناس فقال "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه".

٤٠- باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ[٢] بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ الآية.

وفي صحيح البخاري قال علي: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟[٣]).

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض – لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات، استنكاراً لذلك. فقال: (ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه[٤]) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر: (الرحمن) أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

---

(١) لما كان التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بأسماء الله وصفاته فهو واحد من أنواع التوحيد المتلازمة فمن جحد منها واحداً فقد كفر سنه عليه المؤلف.

(٢) المراد أن بعض الكفار يجحدون اسم الرحمن فسمى الله هذا الجحود كفراً والرحمن يدل على صفة الرحمة لله تعالى والذي عليه السلف في هذا الباب هو إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(٣) وقال ابن مسعود: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنه" رواه مسلم.

تدل هذه الآثار على أنه إذا خشي ضرراً من تحديث الناس ببعض ما لا يعرفونه فلا ينبغي ذلك.

(٤) قول ابن عباس: ما فرق: ما استفهامية أي ما فرق هؤلاء والمراد الإنكار عليهم.

وقوله يجدون رقة أي ليناً وقبولاً للحكم ويهلكون عندما يشتبه عليهم فهمه ومعرفته والهلاك لا يكون إلا لمن ارتكب أمراً عظيماً. وهذا الأمر هو إنكار بعض نصوص الصفات.

٤١- باب قول الله تعالى:
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ[١]﴾.

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا[٢]. وقال أبو العباس — بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: (إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..) الحديث – وقد تقدم – وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

٤٢- باب قول الله تعالى:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٣]﴾.

قال ابن عباس في الآية: (الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل[٤]؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان[٥]. لا تجعل فيها فلاناً[٦] هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك[٧]) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً[٨]. وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان[٩]) رواه أبو داود بسند صحيح. وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان[١٠].

---

(١) ينكرونها بنسبتها لغير الله فكفروا بنعم الله من هذا الباب.

(٢) أي أن الكفار يقولون ذلك فهم يقرون بأن الله هو الذي يرزقهم لكن يقولون بشفاعة الآلهة.

(٣) الند: الشبيه والنظير قوله "وأنتم تعلمون" أي أنه ربكم لإقرارهم بالربوبية.

(٤) فيه بيان شدة خفاء الشرك وعسر التخلص منه.

(٥) هذا كله منافي لكمال التوحيد.

(٦) أي لا تجعل في مقالتك فلاناً بل لولا الله وحده ولا تقل لولا الله وفلان.

(٧) قوله "كفر أو أشرك" قد يكون هذا شك من الراوي وقد يكون أو بمعنى "و"كما جاء معرفاً به عند أحمد "فقد كفر وأشرك" والمراد الكفر والشرك الأصغر.
وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته.

(٨) لأن الحلف بالله كاذباً معصية والحلف بغيره شرك والشرك أعظم من المعاصي وإن كان من الشرك الأصغر.

(٩) لأن العطف بالواو يقتضي المساواة وتسوية المخلوق بالخالق في نوع من العبادات شرك وقد يكون من الشرك الأصغر كما في الحديث وقد تكون المساواة من الأكبر كقوله تعالى عنهم ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١٠) وهذا في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب أما من لا قدرة لهم على نفع ولا ضر كالأموات فلا يقال في حقهم شيء من ذلك.

٤٣- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله[١]

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم[٢]، من حلف بالله فليصدق[٣]، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله)[٤]، رواه ابن ماجه بسند حسن.

٤٤- باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة، أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت[٥]. رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده[٦]).

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال: (هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده [٧]).

---

(١) من الوعيد لدلالته على عدم تعظيمه لجناب الربوبية.

(٢) لأن الحلف بغير الله شرك.

(٣) فيه تأكيد وجوب الصدق لمن حلف بالله، فالصدق واجب ولو يحلف فكيف مع اليمين؟

(٤) هذا إذا كان الحالف موضع صدق وثقة أما إذا كان بعكس ذلك فلا يلزم الرضا بيمينه في غير الأحكام الشرعية.

(٥) فيه بيان أن هذا من الشرك لموافقة النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي وفيه قبول الحق ممن جاء به.

(٦) فيه سد طرائق الشرك الفعلية والقولية.

(٧) هذه الرؤيا حق لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها وقد عمل بما دلت عليه والذي كان يمنعه هو الحياء كما في رواية أحمد والطبراني "إنكم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم" ولأنه لم يؤمر بالإنكار عليهم في كلمة ألفها الناس ورويت على ألسنتهم.

٤٥- باب من سب الدهر فقد آذى الله[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا[٢] مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا[٣] نَمُوتُ وَنَحْيَا[٤] وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ[٥]﴾ الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار) وفي رواية: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر[٦]).

٤٦- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه[٧]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله [٨])، قال سفيان: مثل (شاهان شاه[٩])، وفي رواية: (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه[١٠])، قوله (أخنع) يعني أوضع.

٤٧- باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك[١١]

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم[١٢]، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم[١٣])، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: (ما أحسن هذا[١٤] فمالك من الولد؟)، قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: (فمن أكبرهم؟) قلت: شريح، قال: (فأنت أبو شريح[١٥])، رواه أبو داود وغيره.

---

(١) لأن سب الدهر هو في الحقيقة سب الله لأنه هو الفاعل وإن اعتقد أن الدهر هو الفاعل فقد أشرك.

(٢) مشركوا العرب.

(٣) يكذبون بالبعث.

(٤) يموت قوم ويبعث آخرون.

(٥) أي ما يفنينا إلا ممر الليالي والأيام فيسبون الدهر ومن سب الدهر فقد شارك المشركين في عملهم هذا.

(٦) أي أن الله هو مدبر الدهر ومعرفة لقوله "اقلب الليل والنهار" وليس الدهر من أسماء الله تعالى. وليس هذا من المجاز فالكلام فيه حذف يجوز حذف ما يدل عليه السياق فقوله "أنا الدهر" "أنا مقلب الدهر" لأنه فسره بقوله "أقلب الليل والنهار".

(٧) كحاكم الحكام وسلطان السلاطين لما فيه من تعظيم للمخلوق بما لا يكون إلا الله وفيه جرأة على الله وسوء أدب معه.

(٨) فالله وحده هو الذي يستحق هذا الاسم ومن تسمى بذلك من الخلق فهو أحقر الناس عند الله يوم القيامة معاملة له بنقيض قصده.

(٩) معناها ملك الأملاك وسلطان السلاطين.

(١٠) أي أبغض الخلق عند الله وأخبثهم عنده لتعاظمه في نفسه على خلق الله.

(١١) أي وجوب احترامها لأن هذا من تعظيم الله.

(١٢) الحكم من أسماء الله تعالى.

(١٣) يرد إليه الحكم في الدنيا والآخرة.

(١٤) أي حكمت بينهم بالعدل.

(١٥) غير كنيته لأن الله هو الحكم وكناه بأكبر أولاده وهذا من السنة.

٤٨- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ[١] قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ[٢]﴾ الآية.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض-: أنه قال رجل في غزوة[٣] تبوك: ما رأينا مثل قرائناً هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق[٤]، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥]. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق[٦]. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة[٧] ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه[٨] – وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب – فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون) ما يتلفت إليه وما يزيده عليه.

---

(١) أي لم نقصد الاستهزاء والتكذيب.

(٢) الاستفهام للإنكار وقوله ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ دليل على أن هذا الاستهزاء كفر.

(٣) كانت في رجب سنة ٩هـ.

(٤) فيه المبادرة بالإنكار والشدة على المنافقين وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا ظهر منه ما يدل عليه.

(٥) هذا من النهي عن المنكر وليس من النميمة.

(٦) أي قصدوا الخوض واللعب ولم يقصدوا حقيقة الاستهزاء.

(٧) نسعة: سير يشد به الرمال ويجعل زماماً للبعيد.

(٨) تضرب رجليه لسرعته في المشي.

٤٩- باب ما جاء في قول الله تعالى:
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي[١]﴾ الآية.

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي[٢]﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم[٣]، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني[٤] الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر – شك إسحاق . فأعطي ناقة عشراء[٥]، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته[٦]. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري[٧]، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك[٨]، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة[٩]. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً، فأعطاك الله عز وجل المال[١٠]؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر[١١]، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك[١٢] اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك[١٣]) أخرجاه.

---

(١) أي أنا مستحقه فكفر نعمة الله لم ينسبها إليه تعالى.

(٢) قاله قارون فخسف الله به الأرض عقوبة له.

(٣) يختبرهم.

(٤) أي كرهوا مخالطتي وعدوني مستقذراً من أجله.

(٥) أي حامل.

(٦) ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليه.

(٧) أسباب المعيشة.

(٨) إظهاراً لشدة حاجته إليه.

(٩) أراد دفعه وليس بصادق.

(١٠) استفهام توبيخ.

(١١) فجحد نعم الله عليه مع قرب تجددها.

(١٢) لا أشق عليك.

(١٣) فيه إثبات صفتي الرضا والسخط لله تعالى. وفي الحديث بيان حال من كفر النعم ومن شكرها.

٥٠- باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ[١]﴾ الآية

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿**جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا**﴾ رواه

ابن أبي حاتم[٢]، وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿**لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا**﴾، قال أشفقا ألا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما[٣].

---

(١) المراد بالآية المشركون من بني آدم ولا يصح أن يراد بها آدم وحواء.

(٢) هذه القصة باطلة والأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

(٣) وقد اتفق العلماء على تحريم كل ما عبد لغير الله لأنه من الشرك.

٥١- باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[١] فَادْعُوهُ بِهَا[٢] وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ[٣]﴾ الآية

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

٥٢- باب لا يقال: السلام على الله[٤]

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام[٥]).

---

(١) أي بلغت الغاية في الحسن.

(٢) أي اسألوه وتوسلوا إليه بها.

(٣) قال ابن القيم: الإلحاد في أسمائه كعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت.

(٤) لأن الله هو السلام.

(٥) أي أن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل فهو الموصوف بكل كمال.

٥٣- باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت[١]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم[٢] المسألة، فإن الله لا مكره له[٣]).
ولمسلم: (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه[٤]).

٥٤- باب لا يقول: عبدي وأمتي[٥]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك[٦]، وليقل: سيدي[٧] ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي[٨]).

---

(١) هذا الدعاء لا يجوز لأنه يدل على قلة الاهتمام وفتور الرغبة.
(٢) أي ليجزم في مسألته ويتيقن الإجابة. واللام للأمر.
(٣) تعليل للنهي أي لا أحد يكرهه على ما يريد.
(٤) ليسأل ما شاء من قليل أو كثير فإنه ليس شيء عند الله عظيم ولا يعسر عليه شيء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.
(٥) لما في ذلك من إيهام المشاركة في الربوبية إذا كان بصيغة الدعاء مثل يا عبدي يا أمتي في إضافته لنفسه أما إذا أضافه لغيره فجائز قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾.
وقال صلى الله عليه وسلم "ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة".
(٦) في هذا اللفظ محذوران أ- يوهم معناً فاسداً لأن الرب من أسماء الله.
ب- فيه إشعار للعبد والأمه بالذل وأنهم مربوبون.
ولا يمنع إضافة الرب إلى ما لا تعبد عليه من الحيوانات والجمادات مثل رب الدابة ورب الدار وكذلك لا يمنع ما أضيف لضمير الغائب "أن تلد الأمه ربها".
وهل هذا النهي للتحريم أو الكراهة؟ قال ابن مفلح في الفروع: ظاهر النهي التحريم وقد يحتمل أنه للكراهة وجزم به غير واحد من العلماء. أ. هـ
(٧) السيد على وجه الإطلاق لا تكون إلا لله لحديث "السيد الله" أما مضافة فإنها تكون لغير الله "وألفيا سيدها لدى الباب".
(٨) لعدم دلالتها على الملك كدلالة عبدي وأمتي.

٥٥- باب لا يرد من سأل الله[١]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استعاذ بالله فأعيذوه[٢]، ومن سأل بالله فأعطوه[٣]، ومن دعاكم فأجيبوه[٤]، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه[٥]، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه[٦]) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

٥٦- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة[٧]

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة[٨]) رواه أبو داود.

---

(١) لأنه من رده حينئذ دل ذلك على عدم إعظام الله وإجلاله.

(٢) كأن يقول أعوذ بالله منك فإنه يجب عليك أن تعيذه ولما قالت الجونية لرسول الله صلى الله عليه وسلم "أعوذ بالله منك" قال لها "لقد عدت بعظيم - أو بمعاذ - الحقي بأهلك" أخرجه البخاري.

(٣) الأمر هنا للوجوب ما لم يتضمن السؤال إثماً أو ضرراً على المسئول لأن في ذلك إجابة لحاجته وتعظيماً لله عز وجل. والسؤال بالله أن يقول: "أسألك بالله" أو أسألك بالذي أعطاك ونحوها وأصل المسألة مكروه ولا ينبغي للإنسان أن يسأل أحداً إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

(٤) ظاهر الحديث وجوب إجابة الدعوة مطلقاً وهو مذهب الظاهرية وجمهور العلماء أنها مستحبة إلا دعوة العرس لحديث "ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله" أخرجه البخاري ومسلم.

(٥) بمثل أو أفضل وهي تخلص القلب من رق إحسان الخلق.

(٦) أي بالغوا له في الدعاء.

(٧) إجلالاً لله وإعظاماً له.

(٨) يؤخذ منه أن لا تسأل الناس بوجه الله. فالخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة وأن لا تسأل بوجه الله شيئاً من أمور الدنيا وإن كنت تسألها من الله أما الجنة ولوازم دخولها فلا حرج.

٥٧- باب ما جاء في اللو[١]

وقول الله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا**[٢]﴾، وقوله: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**[٣]﴾ الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (احرص على ما ينفعك[٤]، واستعن بالله[٥] ولا تعجزن[٦]، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان[٧]).

٥٨- باب النهي عن سب الريح[٨]

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسبوا الريح[٩]، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به[١٠]" صححه الترمذي.

---

(١) من النهي لما فيه من الاشعار بعدم الصبر. والممنوع في "لو" التلهف على أمور الدنيا طلباً أو هرباً لا تمني القربات.

(٢) يسر بعض المنافقين هذه المقالة في أنفسهم يوم أحد معارضة للقدر وهذا لا يجدي إلا الحزن والتحسر.

(٣) قالوها يوم أحد لو سمعوا مشاورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل وهذا فيه معارضة للقدر فالموت لا مفر منه ولا يمكن دفعه قال تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(٤) الحرص: بذل الجهد واستفراغ الوسع "على ما ينفعك" بفعل الأسباب النافعة للعبد في دنياه وآخرته.

(٥) أي طلب العون منه ومده فبذلك يحصل لك مقصودك وهذا من التوكل على الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

(٦) العجز مذموم عقلاً وشرعا وهو ينافي الحرص على ما ينفع كما ينافي الاستعانة بالله.

(٧) فالواجب التسليم لما قدره الله فأمن له سبحانه لا تصدر إلا عن حكمه "والحديث فيه إرشاد لما سينتفع به العبد وترك لما فيه ضرر فأرشده إلى الإيمان بالقدر والتسليم لمشيئة الله ونهاه عن التسخط المنافي لكمال الإيمان فهذا من عمل الشيطان.

(٨) لأنها مسخرة مدبرة لا تأثير لها إلا بأمر الله.

(٩) السب هو الشتم واللعن وإنما نهي عن ذلك لأنها إنما تهب بمشيئة الله وقدرته وسب المخلوق سب لخالقه.

(١٠) شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم ويستعيذوا به من شر ما يضرهم.

٥٩- باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ[١]﴾ الآية

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ[٢]﴾ الآية.

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟ فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً.

---

(١) الآية فيها وجوب حسن الظن بالله وقوله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ هو التكذيب بالقدر. وقوله ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو كان الأمر إلينا وسمعوا منا لما أصابهم القتل فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره.

(٢) يتهمون الله في حكمته ويظنون أن لا ينصر الله رسوله وأصحابه وأنهم سيقتلون قال تعالى ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي أن السوء محيط بهم مع غضب الله عليهم ولعنهم ووعدهم جهنم.

٦٠- باب ما جاء في منكري القدر[١]

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر[٢]. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره[٣]) رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: (يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان[٤] حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك[٥]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ما خلق الله القلم[٦]، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء[٧] حتى تقوم الساعة)، يا بني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: (من مات على غير هذا فليس مني[٨])، وفي رواية لأحمد: (إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)، وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار[٩]).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: (لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار). قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم[١٠]. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

---

(١) القدر ما يقدره الله من القضاء ولا يتم التوحيد إلا بالإيمان به وهو ركن من أركان الإيمان والناس فيه طرفان ووسط فالجبرية غلواً في إثباته حتى نفوا قدرة الإنسان واختياره والقدرية غلواً في إنكاره وقالوا إن الله لم يشأ أفعال العباد ولم يخلق والوسط أهل السنة: فأثبتوا القدر وأن للعبد اختياره وقدرته فجمعوا بين النصوص.

(٢) قال في سياق إنكاره على من يقولون: أن لا قدر وأن الأمر أنف.

(٣) في هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة.

(٤) حلاوة الإيمان.

(٥) وهذا لا يكون إلا لمن يؤمن بالقدر.

(٦) أي أول شيء خلقه قبل خلق السماوات والأرض لا قبل خلق العرش وعليه وهو اختيار ابن القيم حيث قال في النونية: والحق أن العرش قبل لأنه قبل الكتابة كان ذا أركان.

(٧) دليل على مرتبة الكتابة حيث أن القدر له أربع مراتب يجب الإيمان بها وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق.

(٨) وعيد شديد لمنكري القدر.

(٩) لكفره وبدعته.

(١٠) يدل على أن هذا كان من الأمور المشتهرة عند الصحابة ولذا توافقوا عليه وعلى ضلال من أنكر القدر ولم يؤمن به وأنه عرض نفسه لعقوبة الله تعالى.

٦١- باب ما جاء في المصورين[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة[٢]) أخرجاه، ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤون[٣] بخلق الله)، ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل مصور في النار[٤] يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم[٥])، ولهما عنه مرفوعاً: (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ[٦]).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[٧]).

---

(١) من الوعيد للمضاهاة بخلق الله.

(٢) أي لا أحد أظلم.

(٣) في هذه الأوامر تعجيز لهم وبيان ضعفهم.

(٤) لذوات الأرواح.

(٥) العذاب هو ما دل عليه الحديث الذي بعده وهو أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

(٦) أي أزلتها ومحوتها.

(٧) مشرفاً: مرتفعاً سويته: أي بالأرض لما في ارتفاعها من الفتنه بأهلها.

٦٢- باب ما جاء في كثرة الحلف[١]

وقول الله تعالى: ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**[٢]﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحلف منفقة للسلعة[٣]، ممحقة للكسب[٤]) أخرجاه.

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله[٥] ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان[٦]، وعائل مستكبر[٧]، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه[٨]) رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً[٩]؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون[١٠]، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن[١١])، وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته[١٢]).

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[١٣].

---

(١) من النهي لما يترتب عليه من منافاة كمال التوحيد.

(٢) من الحنث.

(٣) سبب في رواجها.

(٤) المحق هو النقص والمحو والمعنى أنه يعاقب بمحق البركة.

(٥) وعيد شديد في حقهم ودليل على أن الله يكلم من أطاعه والكلام من صفات الله.

(٦) صغره تحقيراً له وذلك لأن داعي المعصية له به ضعيف.

(٧) فقير ليس له ما يدعوه إلى الكبر.

(٨) أي يحلف في كل حق وباطل وسماه بضاعة لملازمته له.

(٩) المشهور أن القرون المفضلة ثلاثة.

(١٠) يشهدون الزور ولا تطلب شهادتهم لفسقهم أو لاستخفافهم بأمرهم.

(١١) السمن المفرط لتوسعهم في مطلب الدنيا وشهواتها.

(١٢) فيه أن من صفاتهم التسرع في الشهادة واليمين.

(١٣) فيه تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم.

٦٣- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه[١]

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ[٢] وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا[٣]﴾ الآية.

عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية[٤] أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: (اغزوا بسم الله[٥]، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا[٦] ولا تغدروا، ولا تمثلوا[٧]، ولا تقتلوا وليداً[٨]، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فآيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم[٩]، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين[١٠]، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين[١١]، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية[١٢]، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم[١٣]. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه[١٤]. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا) رواه مسلم.

---

(١) من وجوب حفظها والوفاء بها.

(٢) أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والمواثيق.

(٣) المراد الأيمان الداخلة في العهود المواثيق.

(٤) السرية: هي القطعة من الجيش.

(٥) الباء للاستعانة أي مستعينين بالله.

(٦) كرر الأمر بالغزو للاهتمام به ونهى عن الغلول وهو الأخذ من الغنيمة من غير قسمة لها قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

(٧) الغدر: نقض العهد والتمثيل تشويه القتيل بقطع أطرافه ونحوه.

(٨) صغيراً وكذا على من لا يقاتل كالنساء والشيوخ.

(٩) الإسلام وكف عن قتالهم.

(١٠) يعني إلى المدينة لوجوب الهجرة إليها لكل من أسلم وقت ذاك.

(١١) من الفيء والغنيمة وعليهم الجهاد وغيره.

(١٢) الجزية المال الذي يؤخذ من الكافر الذي يقيم في بلاد المسلمين مقابل حمايته وتؤخذ من الرجال البالغين.

(١٣) فإن أبوا الإسلام والجزية فقاتلهم.

(١٤) الذمة العهد وتخفروا ذممكم: تنقضوا عهودكم.

٦٤- باب ما جاء في الإقسام على الله[١]

عن جندب بن عبد الله رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا اغفر لفلان[٢]؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك[٣]) رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته[٤].

٦٥- باب لا يستشفع بالله على خلقه[٥]

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس[٦]، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك[٧]، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله[٨]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله! سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه[٩]؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه[١٠]) وذكر الحديث. رواه أبو داود.

---

(١) الحلف على الله.

(٢) الاستفهام للإنكار.

(٣) عومل بنقيض قصده.

(٤) أهلكت وفيه بيان خطورة اللسان ووجوب حفظه.

(٥) لا يجوز طلب شفاعة الله إلى أحد من خلقه.

(٦) أي جهدت وتعبت.

(٧) أسأله أن يسقينا.

(٨) الاستشفاء بالرسول يكون في حياته بأن يدعو فدعاؤه مستجاب أما بعد وفاته فلا يجوز.

(٩) لأن هذا لا يليق بالخالق.

(١٠) هذا الشاهد من الحديث للباب.

(١١) صونه التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص.

٦٦- باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم[١] حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى[٢])، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان[٣]) رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناساً قالوا يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم[٤] الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله[٥]، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل). رواه النسائي بسند جيد.

---

(١) معناه أن السؤدد الحقيقي لله تعالى والخلق كلهم عبيد له وهذا من سد طرق الشرك وقد أجاز بعض أهل العلم إطلاق "السيد" على البشر واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم "قوموا إلى سيدكم" قال ابن القيم: فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق.

(٢) أرشدهم إلى عدم تكلف الألفاظ التي ربما أدت إلى الغلو وكره لهم المبالغة ونهاهم عنه.

(٣) يذهب بعقولكم ويزين لكم هواكم فتقعوا في الغلو والاطراء.

(٤) اختار الأوصاف التي وصفها به سبحانه وهي العبودية والرسالة وهما من أشرف المراتب وأعلاها.

(٥) أي ما عظم المشركون الله حق عظمته إذ عبدوا معه غيره.

٦٧- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[١] وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٢]﴾الآية

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع[٣]، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية. وفي رواية لمسلم: (والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله)، وفي رواية للبخاري: (يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون). وروي عن ابن عباس، قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما السماوات السبع في الكرسي[٤] إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس[٥])، قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض[٦]).

وعن ابن مسعود قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفي عليه شيء من أعمالكم[٧]). أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم). أخرجه أبو داود وغيره.

---

(١) تكملتها ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويفسرها الحديث الذي بعدها.

(٢) الثرى: التراب الندي ولعل المراد هنا الأرض وفيه إثبات الأصابع لله عز وجل.

(٣) الكرسي: موضع القدمين وهو تحت العرش.

(٤) الترس: صفحة فولاذ تحمل لاتقاء السيف.

(٥) الفلاة: الصحراء الواسعة وفيه دلالة على عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

قال شيخ الإسلام: العرش مقبب ولم يثبت أنه مستدير مطلقاً بل ثبت أنه فوق الأفلاك وأنه له قوائم فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق جل وعلا في غاية الصغر.

(٦) أجمع أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته استواء يليق بجلاله على الحقيقة لا المجاز.

(٧) فهو سبحانه فوق جميع المخلوقات وله العلو الكامل من جميع الوجوه علو القدر وعلو القهر وعلو الذات. والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.